نـافـذة

المنتهى والمشـتهى...

ليس حباً عادياً حب شام، لكنه حب هادئ، حب مختمر، حب متجذر في كل فاصلة من الفواصل، حب يمتد إلى كل ذرة من ترابها، يصل كل مسام من مساماتها الممتدة من قمة قاسيون إلى عتبات حنانيا، ينزرع تحت مئذنة العروس، وبالقرب من السيدة رقية، إنه غريب هذا الحب الشآمي الذي يسمو على الوله. يسبب لك الغبطة والسعادة، ويدفعك الضجر لبعدها أن تنعتق من ذاتك لتنزرع في كل مكان من الجسد المقدس الذي احتوى كل آلهة الجمال...

للحب إلهٍ هي الشام، للجمال، للعطاء، لكل ما فيه روعة، وحده الشّرك لا يقترب منها، قد تقسو لكن لتحبها أكثر، قد تجفو لتتصبب عرقاً بانتظار وأن تنطمر جبهتك في حبيبات العرق المتفصد الذي ينّز من غرتها في قمة قاسيون...

وحدها الشام عاشت عمراً، ولا تزال ناعمة حالمة كأنها اليوم خلقت..!

دارت التاريخ، وبقيت طهراً لا يدانى!

مرّ بها من مر، وقداستها تنبيك بأنه ما مرّ أحد من هنا!

شهدت الزمن، فما تبدلت أزقتها الأمامية، وأزقتها الخلفية!

أنهار عطرها تنسرب إليك من أحجار أمويها، من صليب الزيتون

عطرها يغمرك وهي سماء تمطر مطرها، وتجود بثلجها

عطرها يسكرك وهي تناجيك بعشق تجاوز الدهور والأمكنة..

شام وحدها رمادها كحل... دمارها زخرف... عمرها تعتيق... دمها ماء الحياة...

لك يا شام ما وعى القلب وما لم يعِ

لك الأمنيات والبقاء... لك الأضحيات ودم العاشق

لك وردة الأمنيات، لك ومنك هي

ألم تمنحي للروح وردتك؟ ألم تزودي العاشق بآيات عشقه؟

كل لحظة فيك، كل مسافة، كل مسام طهر وقداسة

يتعمد فيك العاشق ليكون أطهر...

يصلي على سجادتك ليقرب من الإله أو ليكون...

مع الفجر تنداح أنفاسك أنسامك صباحاتك

تمتزج بطهر تفجر ماء بردى... تعانق الروح ليغيب من سكر إلى سكر

شام أنت وطن... وأي وطن؟!

وطن لجبهة توضأت بمائك وثلجك

وطن لعمّاد أنت وحدك سرّه المقدس، وبعدك تتماهى الأسرار

شام... فيك لا يهم ما يكون ومن يكون... أنت تمنحين السر والأسرار

فيك يحمل العاشق سرّ الأسرار ليقف على مذبح أنت مانحه

يصعد بأنفاسك منبر الإيمان... يملك الفصاحة

يلقي آياتك، يغني أنفاسك

ومن طهر إلى طهر ينتقل ابنك

عجز عهر الكون عن تلويثك... عن تغيير لحظة من إيمانك

اجتمع الكفر والعهر... امتزجا... وحين ظنا... انسربا

صلدة هي أرضك، لم تسمح لقطرة أن تتغلغل

ذهب كل كره

يذهب كل حق

أنت وحدك تصنعين كل شيء

وما أبدع أن تصنعي جوهرك

في أيلول مدي الأوراق بالنسغ

ابدئي رحلة جديدة أنت مبتداها

ولحظة منك منتهاها

وحدك البداية الهبة... وحدك النهاية المشتهاة

بمائك يتطهر العصاة

بثلجك يتقدس العاشق

إسماعيل مروة

رسائل ميتيران مناعة الحب أمام السياسية: ١٢١٨ رسالة حب

مها محفوض محمد

هل أصبحت رسائل الحب في زمن البريد الإلكتروني موضة قديمة حيث لم تعد كتابة الرسالة الورقية دارجة عند مستخدمي الإنترنت لأن وسائل التواصل الجديدة فيسبوك وSMS أو سناب شات هي الأسرع بالطبع رغم أنها لا تنجو من مخاطر التكنولوجيا أم ما زال كثيرون يفضلون استخدام القلم على أزرار الحاسوب في التعبير عن مشاعرهم؟ لأن الرسالة المخطوطة باليد يبقى لها سحرها إذ توحي أكثر بالمشاعر وتحمل الدفء كما يمكن الاحتفاظ بها لسنين نعيد قراءتها حين نريد فتثير انفعالنا من جديد، وإذا كانت المسألة تتعلق بالأجيال فيرى البعض أن الرومانسية حاضرة مع كل جيل وفي جميع الأعمار ولا يمكن للرسالة الورقية أن تندثر لأن ما نحس به من إعادة قراءتها والاحتفاظ بها مدى الحياة لا يمكن إيجاده مع SMS، وكم من رسائل كشفت عن أسرار حب بعد نصف قرن من الزمن كما حصل مؤخراً مع نشر ١٢١٨ رسالة كتبها الرئيس الفرنسي الأسبق فرانسوا ميتيران إلى حبيبته آن بانجيو نشرتها دار غاليمار في كتاب يتألف من ١٢٧٦ صفحة وذلك بمناسبة مرور مئة عام على ولادة ميتيران (١٩١٦) وعشرين عاماً على وفاته (١٩٩٦) بعد تردد كبير من بانجيو التي كانت أكثر حرصاً على السرية اختارت اليوم نشر هذه الرسائل عبر معهد ميتيران الذي يرأسه هوبير فيدرين (وزير خارجية أسبق).

وقد عملت دار النشر العريقة غاليمار بدقة لتحقق « ضربتها» في عملية النشر هذه علماً أنها لم تنشر يوماً كتاباً تحت عنوان (X) أو «سري للغاية» حيث تم سير ظهور الكتاب بسرية وخطة إعلامية وضعت بحيث يتم نشر بعض الرسائل مسبقاً على موقعي لوفيغارو ومجلة OBS التي كتبت تحت عنوان «رسائل مذهلة»:

إنها رواية جميلة وحكاية أجمل كان يوم سعادة دون شك حين التقيا أول مرة عام ١٩٦٢ على شاطئ البحر في هوسيغور فرانسوا (٤٦ عاماً) وآن (١٩ عاماً) حيث كان الشاب الاشتراكي قد مارس جزءاً كبيراً من حياته السياسية (عين وزيراً ١٢ مرة وكان يومها نائباً عن منطقة نييفر) مع أن الشابة الجميلة البرجوازية كانت ما تزال الحياة أمامها

كتاب مناعة الحب أمام السياسية

وهو متزوج منذ العام ١٩٤٤ ولديه ولدان وفي أول رسالة كتبها لها (١٩ تشرين أول ١٩٦٢) من قصر لوكسمبورغ يقول لها: سأرسل لك كتاب سقراط الذي حدثتك عنه وإن لم أجده فسأعطيك نسختي لأن هذا الكتاب الصغير سيكون الرسول الذي يبلغك الذكرى الصادقة لساعات قضيناها ذات صيف جميل.

وفي ١٤ تشرين الأول عام ١٩٦٤ كتب لها: «لحظة التقيتك شعرت على الفور بأني سأذهب في رحلة طويلة وحيث سأمضي ستكونين معي دائماً أبارك وجهك الذي يشع نوراً ومعه لن يكون هناك ليل مطلق وستكون وحشة الموت أقل وحشة».

رسائل الحب هذه التي استمرت ما بين عامي ١٩٦٢– ١٩٩٥ تميزت بقوتها وعلى الأخص بفرادة أدبية اقتحمت العقل السياسي لتؤكد موهبة ميتيران الأدبية وثقافته الواسعة فقد كان آخر رئيس فرنسي يبجل لغته ويعرف كيف يلون الاستعارات المجازية ويستطيع أن يكتب أشعار حب مؤثرة من قلب عاشق ولهان ثم يؤطر الرسالة بإطار مذهب ذلك

فرانسوا ميتيران

لأن فرانسوا ميتيران أحب بجنون حتى آخر نفس في حياته أحب آن بنجيو التي كانت تتذوق الفنون الجميلة فكانت شغفه الدائم ووجعه الكبير حين تمرض وأي ارتباك كان يعتريه، لقد أخفى لهباً جميلاً على مدى اثنين وثلاثين عاماً والتزم صمتاً أباح به شعراً: «حبيبة ووردة وشمس ساطعة» فاستطاع أيضاً أن يجنبها قسوة البروتوكول وثقل الأعباء الرئاسية وأن يجنب الوجه الشاعري من الوقوع تحت نثر التنفيذ ذلك أن بنجيو ما لم تكن السيدة الأولى فقد كانت دون منازع حبه الأكبر الذي يقويه حيث كتب لها ذات مرة: «كل ما أقوله إلى الجمهور المجهول في الخطابات هو عمل مرهق وعبثي على الأخص حين أفكر بأن الحب وحده بتفاصيله يمدني بالقوة التي لا يعادلها شيء».

وتحت عنوان: «رسائل ميتيران، مناعة الحب أمام السياسية» وردت رسالة كتبها لها عام ١٩٦٥ يقول فيها: «بعد تأمل طويل علمت الآن عقب اجتماعي مع الجنرال ديغول في مؤتمر صحفي أني مرشح لرئاسة الجمهورية، في هذه اللحظات الحساسة المؤثرة وأحياناً دراماتيكية هل تعلمين أني أفكر بك وبهذا الحب الرائع أستمد القوة من حنو ذراعيك ولهيب شفتيك من السلام الذي تحملينه في داخلك».

وفي جزء لم يظهر منه إلا القليل من رسائلها تدعوه فيها: «يا عالمي يا خالق فرحي في الحياة» تبدو المرأة الشابة لم تتقبل أن تبقى مستترة بل طلبت منه أن تشاركه الحياة علناً وأن تمارس مطلق حريتها وهذا لم يكن ليتحمله لأنها كانت ستلد في ١٨ كانون الأول ١٩٧٤ ابنتهما مازارين إنما بعد انتخابه عام ١٩٨١ انضم إليهما دون أن تنكشف القصة حتى عام ١٩٩٤ حين نشر مصوران صورة له مع ابنته مازارين وهما خارجان من أحد المطاعم أي أن هذه العلاقة بقيت سراً شائعاً حيث كانت الطبقة السياسية على علم بذلك لكن الصحفيين لم يكتبوا شيئاً حولها.

وحين دخل ميتيران إلى الإليزيه تبعته النخب الثقافية حيث كان يلتقي الكاتبة مارغريت دوراس وكان الوزراء رولاند دوماس وهوبير فيدرين وجاك لونغ يتنافسون على تقديم الكتّاب إلى الرئيس حيث تم استقبال أكثر من ٢٠٠ شخصية أدبية على مآدب الغذاء في القاعة الخاصة ومنهم فرانسوا ساغان وبلوندان كما يروي ريجيس دوبريه وكان ميتيران يتنقل بطائرة الهيلكوبتر لزيارة الأدباء الذين يحبهم.

ومع بقائه في الإليزيه ١٤ عاماً لم تنقطع رسائله لتلك المرأة التي أحبها بجنون حيث كتب لها مرة: «حبك بحد ذاته مهمة آخاذة، لقد منحني هذا الحب الشعور بالخلود الأزلي».

لقد وصفت هذه المراسلات التي استمرت ثلاثةً وثلاثين عاماً بأنها مدهشة ليس لعدد الرسائل إنما للمدة التي امتدت في تبادلها إلى وقت قصير قبيل وفاة ميتيران وتميزت هذه الرسائل بالتنوع والحميمية والشاعرية رغم الاعتبارات السياسية فمن المهم ملاحظة كتابتها خلال أحداث سياسية مهمّة مثل اضطرابات أيار ١٩٦٨ وانتخابات ١٩٧٨ و١٩٨١ كما فيها من الأدب ما لم يشهده تاريخ قائد سياسي تحدث بالأدب مثل فرانسوا ميتيران وكانت آخر رسالة كتبها لها في ٢٢ أيلول ١٩٩٥ قبل وفاته بثلاثة أشهر يقول فيها: «أحب صوتك حتى لو كان يقسو علي أحياناً، أنت النور في حياتي وبعيداً عنك كل شيء مظلم، سعادتي حين أفكر بك، قدمت لي الكثير وكنت فرصة عمري فكيف لا أحبك أكثر؟».

جميل وبثينة

بين مفهوم الحب وجنون عاشقين

سناء أسعد

بثينة: لماذا لا تطربني بأنغام حبك على الرغم من دفء صوتك... ولماذا تحاول أن تخفي ذلك الطفل البريء الذي يعيش في ثنايا روحك غارقا في مشاغل الحياة وهمومها.. متجاهلا جنون المشاعر وعبثها. بل دعني أقل لك إن العمر صار بمفهومك عبارة عن مجموعة من الحسابات... وأنا صرت المرأة الأكثر ترددا وأنت المسؤول عن ذلك.. أختنق من شدة شوقي لك ولكن أحبسه عنك ولا أبوح به حتى لايشوهه تجاهلك وأتمرد على أحلامي حتى لا تصطدم بطيفك فتتجمد من برودة أنفاسك.

جميل: ليس كل عاشق شاعرا... وليس كل عالم فيلسوفا... وليس كل تاجر بارد المشاعر.. ولكن لكل امرئ في الحب مفهوم واختلافي معك لايعني أنني المخطئ وأنت على صواب.. ولكنني أتساءل عن سر غضبك هذا ونحن منذ التقينا لم نتفق على أمر فما الجديد الآن.

بثينة: هناك فرق بين الاختلاف في وجهات النظر والاختلاف في تسارع نبضات القلب وركونها عند اللقاء ومدى لهفة الشوق وجنونه بعد طول غياب فالاختلاف هنا يعني فراقاً منتظراً لا محال.

جميل: وهل تعتقدين أنني أتحمل مرارة فراقك وأنت الأنثى الوحيدة التي اجتاحت حساباتي... وصار حبها رصيدا يشعرني بتوازني وقدرتي على الربح في كل جولات حياتي.

هزت بثينة رأسها مبتسمة وقالت: اغمرني بحنان وداعبني برقة إذاً لأشعر بأمان يولد بين ذراعيك من جديد. فقد أضناني الشوق وأنت قربي وأنهكني الخوف وأنت أقوى الرجال.. تعبت الغربة وانتظار عودتك.. فهل تلغي رحلة عملك غداً لأجلي يا حبيبي وتبقى بجانبي.؟

جميل: أعتذر ولكنني لا أستطيع!!

امتلأت عينا بثينة بدموع الحزن وغصت بحرقة وما إن همت بالرحيل حتى أمسك جميل بيديها وشدها إلى صدره وغمرها بقوة وحنان.. وقال لها: لا أستطيع لأن رحلة غد معك ولأجلك أنت.. فاختاري بين الأرض والسماء مكانا والشموع وضوء القمر نورا يا أجمل النساء.

بثينة: اختار حضنك الدافئ فهو جنة الأرض والسماء وأختار بريق عينيك لأنه النور الوحيد الذي أرى من خلاله الدنيا كلها يا أنبل الفرسان

عدنان عزام في كتابه الجديد «الحرب الكونيّة على سورية بأقلام الغرب»

مشروع «سورية تقرأ» نبذ للثقافة الطائفيّة التكفيريّة ودعوة جديدة للعودة إلى الكتاب والقراءة

عامر فؤاد عامر

قدّم الكاتب الرحالة «عدنان عزام» كتابه الرابع باللغة العربيّة، إضافة إلى آخرين باللغة الفرنسيّة، وجلّ مواضيع هذه الكتب جاء بين الحديث عن رحلاته حول العالم التي قام بها موثقة بصور مرافقة لكلّ مكان زاره، إضافة إلى محور الدفاع عن سورية توضيحاً لحقيقة الحرب عليها والهجوم الشرس على الثقافة السوريّة والهويّة والوجود السوري.

واليوم يسعى الرحالة «عزام» إلى الطواف على مدن سوريّة للنهوض بمشروع «سورية تقرأ» برعاية وزارة الثقافة، والبداية ستكون من طرطوس في يوم الثاني من تشرين الثاني وتليها مدن دريكيش في ٣ وصافيتا في ٥ والجولان في ١١ الشهر الجاري، وستكون هذه هي البداية للانطلاق إلى كل أنحاء سورية، وعن هذه الجولة وعن الكتاب الأخير كان لقاؤنا معه:

التقينا الرحالة «عدنان عزام» أثناء توقيع كتابه «الحرب الكونيّة على سورية بأقلام الغرب» وذلك في معرض الكتاب الدولي، وقد قال وذكر عنه: «هذا الكتاب يبتعد عن التنظير، ويدخل في تفاصيل القرارات والتوجيهات والمواقف السياسيّة الغربيّة، التي اتُخذت بحق الدولة السورية. وعندما نقول لمواطن سوري إن هناك مؤامرة على سورية قد لا يقتنع كثيراً، ولكن عندما نشرح له عن الإجراءات التي اتخذها وزير الدفاع الفرنسي والقرارات التي صدرت لدعم أفراد الجيش الفرنسي الذي جاء إلى سورية، وعاث فساداً وخرّب في بلدنا، ومن ثم منح القارئ أمثلة محددة وموثّقة سيقتنع أكثر بما نقدم له من معلومات.

هذا الكتاب «الحرب الكونيّة على سورية بأقلام الغرب» هو عبارة عن وقائع حيّة تؤرخ يوماً بيوم لكلّ التدخلات على الأرض السوريّة وعلى الدولة السوريّة».

إلى أي درجة يمكن للمثقف أن يلعب دوره كمدافع عن وطنه في فترة الأزمات والحروب، بحسب خبرتك وتجربتك؟

لنتفق أولاً على أن ليس كلّ متعلّم مثقف وأن كلمة ثقافة هي ملح وخميرة الوجود وهي البوصلة التي توجّه النشاط الفكري للإنسان ليخدم مكوّنات هويّته، ووجوده الجغرافي، والسيادي، والنوعي، وقد أثبت التاريخ أن العديد من رجالات التاريخ الذين أعطوا لأوطانهم القيمة المُضافة لم يكونوا حائزين الشهادات التعليميّة!! وخير مثال على ذلك أبطال التحرير العربي من الاستعمار العثماني والفرنسي والإنكليزي، وخاصّة أبطال الثورة السوريّة الكبرى، وأن الكثير ممن ساهم المجتمع مثقفين سقطوا في امتحان الوطنيّة، وساهموا بتدمير أوطانهم بتحالفهم مع الأعداء، وهم يعتقدون أنهم يقاومون «نظام حاكم». وهم يعتقدون أنهم يقاومون نظام حاكم، وهذا ما حصل تماماً في الغزو الصهيوغربي للوطن العربي، والذي سموه (ثورات الربيع العربي) وخير من وصف هذا المثقف التونسي «ميزري حداد» في كتابه باللغة الفرنسيّة بعنوان (لافاس كاشي دو لا ريفوليسيون تونيزيان) أي الوجه المخفي للثورة التونسيّة، وقد كان يومها «ميزري حداد» يعمل سفيراً لبلاده في منظمة اليونسكو في باريس، وقد اختار الوقوف إلى جانب الدّولة التونسيّة، رغم عدائه للرئيس «زين العابدين بن علي» ولو وقف عشرات (الذين نسميهم مثقفين عرباً) إلى جانب أوطانهم لكانوا استطاعوا صدّ العدوان وإفشال مخططاته وحماية أوطاننا، وهذا هو الدّور المُفترض للمثقف الذي يُفترض أن يكون فوق الحاجة الماديّة، والخدميّة، وقادراً على صناعة الرمزيّة الوطنيّة والعقائديّة، ومن ثم تصويب مسار الجماهير نحو خدمة الوطن، وكما قلت سابقاً التاريخ زاخرٌ بالأسماء، التي صنعت المعجزات في أيام الحروب، فمثلاً الطبيب الفرنسي الذي طافت شهرته الآفاق «انتوان دو سانت ايكزوبيري» لم يكن محسوباً على الوسط الثقافي الفرنسي في الحرب العالميّة الثانية، لكنه اغتاظ من موقف المثقفين الفرنسيين المتخاذل أيام الاحتلال الألماني لفرنسا، فترك عيادته وتدرّب على الطيران الشراعي، حتى أصبح يطير وحيداً فملأ – خلسة – الطائرة التي كان يتدرّب عليها بالمتفجرات، وقذف بنفسه في قاعدة ألمانية، ما خلق حالة عظيمة لدى الفرنسيين وجعل المئات يحذون حذوه. نحن اليوم نواجه حرباً مصيريّة، تريد (الإمبراطوريّة الصهيوغربيّة) من خلالها تدمير وطننا، ومن ثم فإنه لزاماً على المثقفين تشكيل غرفة عمليّات رديفة لغرفة العمليّات العسكريّة لمقاومة الحرب النفسيّة والحرب الناعمة ومقاومة الشائعات المدمرة والتخفيف من حدّة السلبيّات والإفرازات الجانبيّة للحرب، وعدم التركيز فقط على النصف الفارغ من الكأس بل التركيز على عناصر الصمود وتسليط الضوء على الجوانب الإيجابيّة، ومنها بطولات الجيش العربي السوري والمواطنون الذين يقومون بأدوار متميّزة لتعزيز صمود الوطن.

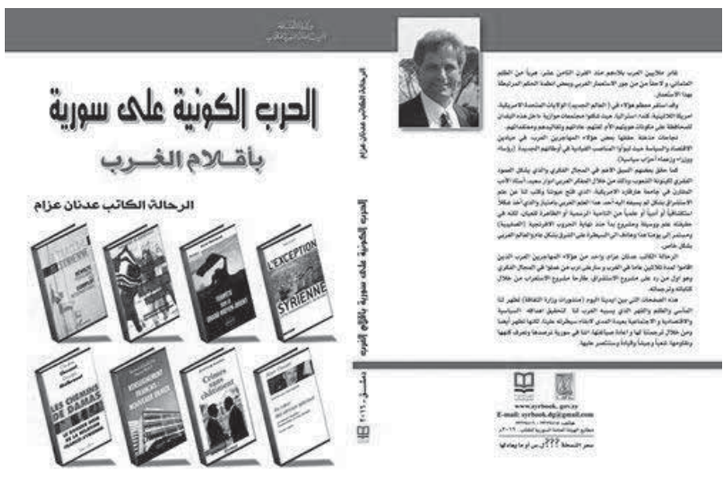

لنقول للعالم أجمع إن سورية ليس مكاناً للحرب، والدمار، والجريمة التي تحملها إلينا القوى الصهيوغربية، وأعوانها من التكفيريين والظلاميين بل إن سورية والسوريين سيظلّون أوفياء لرسالة الإنسان السوري العظيم التي حملها عبر التاريخ وهي رسالة العلم والثقافة ومحراث العطاء والخير.

«سورية تقرأ» مشروع فكري، جماعي، فيه حسّ نهضوي. كيف يمكن جذب الناس اليوم للعودة إلى الكتاب في ظروف متنوّعة تضغط عليه من كلّ الاتجاهات؟

«سورية تقرأ» هو المشروع الذي طرحته على وزير الثقافة الأستاذ «محمد الأحمد» الذي شجّعه ووافق على رعايته، ويهدف إلى إعادة الكتاب إلى الناس بطريقة حيويّة خلاقة مبدعة لإخراج المواطنين من ثقافة الخمول التي سببتها المسلسلات، وثقافة القراءة فقط للحصول على شهادة مهنيّة ونسيان القراءة الثقافيّة الأصيلة. «سورية تقرأ» مشروع كبير لإعادة الثقافة العقائديّة لتدعيم الوحدة الوطنيّة، ونبذ الثقافة الطائفيّة التكفيريّة، وسنقوم بذلك بمشاركة نخبة من الفنانين والرياضيين والكتاب الطليعيين والشخصيّات الاجتماعيّة الفاعلة، وسيتم ذلك في أماكن تجمع الناس وفي الأماكن التي يرتادونها وليس فقط المراكز الثقافية.

ما الطريقة لكي نصل فيها إلى مرحلة الاعتراف الجماعي اليوم بأن الثقافة هي الطريق إلى انتصارنا على الحرب؟

إن عقلنة الشعور الوطني والانتماء الوطني وجعله واعياً راقياً قوياً مصوباً بالاتجاه السيادي الصحيح المحافظ على ثوابت الأمة ومكونات هويّتها هو أقدس ما يمكن أن يصل إليه مجتمع من المجتمعات، وهو من ثم أقدس ما يمكن أن نصل إليه في سورية، والعالم العربي، وهذا طموح صعب وشاق، ولكنه طموح وطنيّ مشروع، ويحق لنا أن نحلم بذلك، وهو قابل للتحقيق بتضافر العوامل اللازمة وأهمها القرار السياسي ومشاركة كلّ الشرائح الاجتماعيّة بذلك، وعدم الاعتماد على شريحة من دون غيرها، وخاصّة الشرائح الشبابيّة الأكثر غياباً عن قضايا الوطن.